Features of lamentation in Kuwaiti poetry

Asst. Prof.Dr. Jassim Ghali Rumi al-Maliki
The University of Basrah
Basrah and Arabian Gulf Studies Center
E-mail: dr.rooy@yahoo.com

Abstract:

The research dealt with the lamentation in the Kuwaiti poetry ,the definition of lamentation, language and terminology, as well as lamentation in general .It involves remembering the best deeds of the dead and his qualities of kindness in terms of generosity and a high standing. We studied lamentation in the pre-Islamic era but briefly. As well as the theme of lamentation in Kuwaiti poetry ,and applications on it from the poetry of Kuwaiti poets and types of lamentation such as lamentations of rulers ,scholars ,lamentations of wives, sons , friends, and cities .What's happened in the Kuwaiti poetry of remarkable development in this area of renewal in meanings of metaphor from ancient meanings in the representation of this poetic art.

Key words: Lamentation, Kuwaiti poetry, contemporary poetic movement, ruins

ملامح الرثاء في ديوان الشعر الكويتي

أ.م.د. جاسم غالي رومي المالكي
جامعة البصرة
مركز دراسات البصرة والخليج العربي
Email- dr.rooy@yahoo.com

المستخلص:

تناولنا في بحثنا لغرض الرثاء في ديوان الشعر الكويتي تعريف الرثاء لغة واصطلاحاً، وكذلك الرثاء بصورة عامة من حيث هو بكاء على الميت وذكر محاسنه، وصفاته الحميدة من حيث الكرم والجاه، وعرجنا على دراسة الرثاء في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعباسي ولكن بصورة مختصرة، فضلاً عن موضوع الرثاء في الشعر الكويتي والتطبيقات عليه من شعر الشعراء الكويتيين، وأنواع الرثاء منه رثاء الحكام والعلماء ورثاء الزوجات والأبناء ورثاء الأصدقاء والمدن ومما حدث في الشعر الكويتي من تطور ملحوظ في هذا المجال من تجديد في المعاني ومن استعارة المعاني القديمة في تمثيل هذا الفن الشعري.

الكلمات المفتاحية : الرثية، الشعر الكويتي، الحركة الشعرية المعاصرة، الاطلال.

المقدمة :-

إن سبب اختيارنا لموضوع الرثاء في الشعر الكويتي، هو معرفة مدى التطور الذي أحدثه الشعراء التقليديون من خلال التزاوج الذي حصل بين المعاني القديمة والحديثة وأنَّ دراسة غرض الرثاء في الشعر الكويتي الحديث إنما هي دراسة ناضجة عن الحركة الشعرية المعاصرة في منطقة الخليج العربي وقد نظم الشاعر التقليدي قصيدته على نمط الشعر القديم من الوقوف على الأطلال ووصف الرحيل وما يتصل بها من المعاني الحزينة والخلط بين العواطف والشوق والفقد، وقد امتزجت هذه الأغراض والمعاني والصور المتنوعة بإيثار القديم، وبها حدث تطور في هذا الفن الشعري ولم ينفصل التيار الحديث عن التيار القديم.

انتظمت مادة البحث من مقدمة وتمهيد الذي يتكون من تعريف للرثاء لغة واصطلاحاً وتلحقه خاتمة ونتائج للبحث مع فهرس للمصادر والمراجع ،وكذلك يتضمن البحث عنوانين، العنوان الأول يتحدث على أهمية الرثاء قديماً وحديثاً. أما العنوان الثاني فيتضمن تطبيقاً عملياً وتحليلاً لقصائد ديوان الشعر الكويتي، إذ إن الشاعر الكويتي التقليدي يمزج بين المدح والغزل مع غرض الرثاء ومما نلاحظ من هذه القصائد التقليدية في الشعر الكويتي أن القصيدة تبدأ بالغزل فهي لا تبدأ بالرثاء مباشرة فقد أحدث الشاعر تطويراً في القصيدة الحديثة، وهو يحاول التوظيف بين الغزل والمدح والرثاء من حيث المعاني والأغراض القديمة والحديثة منها تتحدث عن خراب الديار وهجر الديار والرحيل الذي يعد رمزاً من رموز الموت والحزن التي تنبعث عن معانٍ صادقة تعبر عن عواطف جياشة، فقد كان الربط قائماً بين القصائد الحديثة والقديمة وهو ترابط فني رائع ذو إيقاع ونظم متناسقة .

التمهيد :الرثاء لغة واصطلاحاً .

_ الرثاء لغة :- يتحدد تعريف الرثاء لغة في التعريف الآتي :- ((رثاء ورثيتُ الميت أرثيه مرثية ، وهمدان تقول :رثأتُ الميت ، رثأ مهموز ، في معنى رثيته . وارثا اللبن ،إذا خثر والاسم الرثية ومن أمثالهم أن الرثية مما تطفئ الظمأ ،قال أبو بكر : هذه ألف دخلت هاهنا كما تدخل في الشعر ، وتسمى الانطلاق . والرثية . بجدة الشيخ في مفاصله ، وأنشد لامرئ القيس :-

ولستُ بذي رثيةٍ أمر إذا حيد مثكرها اجحبا[1]

وهنا نجد أكثر من معنى في الرثاء ونلاحظ أن كلمة (رثاء) جاءت في صور عدة منها جاءت مهموزة وتارة نجدها تدل على مرض ضعف في المفاصل وتارة أخرى نجدها في كلمة (أرثا)وهم يذكرونها في أمثالهم وتعني (خثر).

((والرثاث: الرث داء في منكب البصير ، رثئ الميت برثيه رثياً ، ورثاء ، ورثاية ومرثاة ومرثية :بكاه بعد موته ، وعدد محاسنه ويقال : رثاه بقصيدة ورثاء بكلمة وله رحمة ورق لهُ. وعنه الحديث ، رثايه : ذكره عنه . رثاه برثوة رثواً ، ورثاء : بكاه وعدد محاسنه : رثئ: رثاه مرثية: مدحه بعد موته الرثاية : النواحه)).[٢]

أما اصطلاحاً فنجد هنا إنَّ معنى الرثاء ضد الفرح، ووجد معنى آخر وهو يعني في هذا المصدر تعدد محاسن المرثي ، وكذلك الإبكاء عليه والدعاء له برحمة ، أي أن : ((رثاهُ ، رثواً ، رثاءً : بكاه وعدد محاسنه (الرثو) : اللبن الرائب يختلط بالحامض فيخثر))[٣] وكذلك نلاحظ أنَّه يذكر ((الرثاية تعني النواحة والرثية والفتور، ويقال في أمره رثية والحق وجع المفاصل ، أو الركن من الأطراف ،وهو ما يعرف (بالروماتيزم)، وكل ما سفك من الانبعاث من وجع أوكسر، والرثاه : ما يرثى به الميت من الشعر وغيره)[٤].

((رثىء : الراء والثاء والحرف المعتل أصل يدل على رقة وإشفاق ، يقال رثينَ الفلان وقفت ومن الباب قولهم : رثى الميت بشعر ، ومن العرب من يقول : رثأت أو ليس بالأصل – ومن الباب الرثية : وجع المفاصل : وأما المهموز فهو أيضا أصل ، يدل على اختلاط ، يقال أرثا اللبن أخثر ، والاسم الرثية، قالوا في أمثالهم : ((إن الرثية مما يطفئ الغضب)). قال أبو زيد : يقال عليهم أمرهم " أختلط ، ومنهُ الرثية ، ويقال : أرثتا في رأيه ، أي خلط)).[٥] يوجد في أحرف الرثاء المعتلة ومنها الهمزة الأصل المعتلة تدل على رقة أما المهموزة فتدل على الاختلاط ، هنا نجد تبايناً في المعاني واختلافاً واسعاً وبعيداً كل البعد عن معنى الرثاء الذي مر بنا وهو بكاء الميت وذكر محاسنه والدعاء له بالرحمة .

وكذلك : ((رثى . الرثية بالفتح : وجع في الركبتين والمفاصل ، قال حميد يذكر كبره ورثية تنهض بالتشدد ويروي في تشددي والجمع وثبات ، قال الرافد وللكبير ، ثبات أربع الركتبات والنياد الاخداع ولا يزال رأسه يصدع ...)).[٦]

ورثين الميت مرثية ورثوية أيضاً إذا بكيته وعددت محاسنه ، وكذلك إذا التحليل الذي نلاحظة أن الرثاء لا يأتي فقط على بكاء الميت وإنما يعني بفتح : وجع في الركبتين وكذلك هو مرض يصيب المفاصل .

ومنهُ أيضاً : ((ورثى أبو العباس عن ابن الأعرابي : رثت المرأة زوجها ترثيه وترثوه ، وقال أبو زيد والكسائي: رثت رثاية .وقال الليث : رثى فلاناً يرثيه رثياً ومرثية ، إذا بكاه بعد موته، فإن قدسه بعد موته، قيل : رثاهُ يرثيه ترثيه .ويقال : ما يرثى فلان بي . أبي ما يتوجع ولا يبالي ، وأني لا رثيٍ لهُ مرثاه ورثياً . وأمراه رثاءه ورثاية إذا كانت تنوع نوعاً ونياحه))[٧].

المبحث الأول : ماهية الرثاء

تتحدد ماهية الرثاء وذلك : ((إذا ما تطلعنا إلى جانب الندب في رثاء الجاهليين فسنجد أن الشواعر قد يرثين أخوانهن من الرجال في أكثر الأحيان نظراً لرقة شعور المرأة وعدم حرمانها من البكاء وإسبال الدمع بغزارة عند تأثرها بمكروه ، فضلاً عن أن فقد المرأة الجاهلية معيلها سواء كان هذا المعيل الحامي قريناً أم أخاً أم قريباً يعني إليها ذلاً مقيماً وهي تعيش في مجتمع القبيلة)).[٨]

حيث نجد في هذا الجانب أنَّ المرأة في الجاهلية إذا فقدت عزيزاً عليها أو قريباً يشكل هذا عندها ذلاً مما يسود في مجتمع القبيلة من احكام السطوة : ((وتتولى مرقات الألم وأناته عبر قصائد الراثيات من شواعر الجاهلية لتعكس صوراً معبرة لمأتم نسائية معولة لا تختلف في كثير عما هو حاصل في الوقت الحاضر عند فقد المرأة عزيزاً))[٩]

وهذا نجده عند بعض الشعراء مثل أخت ربيعة بن مكرم ترثي أخاها أثر مقتله في الكديد ، وقد صورت في أبيات لها صورة باكية فيها من الألم والتوجع :_[١٠]

أبكي على هالك أودى ماورثني
بعد التفرق ذكراه باق
لو كان ينضح ميتا وجد ذعارهم
أبقى أخي سالماً وجدي وأشقاقي
أو كان يفدي لكان الأهل كلهم
وما أثمر من مال له واقي
لكن سها م المنايا من نصبن له
كم يظنه ذي طب ولا راقي
فسوف أبكيك ما لاحت مطوقة
وما سرين مع الساري على ساق
أبكي لذكراه مبرى وفجعه
ما أن يجف لها من ذكره مآقي

وقالت الخنساء في رثاء أخيها صخر وقد عبرت عن ألمها لوعة لفقدان أخيها : – [١١]

إلا يا صخر أن أبكيت عيني
لقد أضحكتني دهراً طويلاً

بكيتك في نساء معولات
وكنت أحق من أبدي العويلا
دفعت بك الجليل وأنت حي
فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
إذا صح البكاء على خيتك
رأيت بكاءك الحسن الجميلا

نجد أنَّ شعرها معظمه مقطعات طيع اللفظ رقيق السمك لائق الديباجة وقد غلب عليه الفخر والرثاء كثيراً ، لما رأينا من فجيعتها بأخويها وتأثرها بهما ، ورثاؤها واضح المعاني رقيق صادق العاطفة بدوي المذهب لكثرة ما فيه من التلهف والمبالغة في ذكر سمات أخيها صخر .

ومما رثى به لبيد أخاه أربد قائلاً : – [١٢]

إلا ذهب الحافظ والمحامي
وأدفع خيمنا يوم الخصام
وأيقنت التعرف يوم قالوا
تقسم مال أربد بالسهام
وأربد فارس الهيجا إذ ما
تقترن المسناجة بالقتام

وقال أبو تمام يرثي محمد بن حميد الطوسي :– [١٣]

كذا فليجل الخطب ، وليفدح الأمر ... فليس لعين لم تفض ماؤها عذر
توفيت الآمال بعد محمد ... وأصبح في شغك عن السفر السفر
وما كانت الامال من قل ماله ... ذخراً لمن أمسى وليس له ذخر
وما كان يدري محتدى جود كفه ... إذا ما أستهلت أنه خلق العسر
إلا في سبيل الله من عطلت له ... فنجاح سبيل الله وانثقر لثقر
فتى كلما خافت عيون قبيلة ... وما ضحكت عنه الأحاديث والذكر
فتى دهره شطران فيما ينويه ... ففي باسه شطر ، وفي جوده شطر
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة ... تقوم مقام النصر إذ ماته النصر
وما مات فتى وأن مضرب سيفه ... من الضرب واعتلت عليه القنا سعر
وقد كان فوت الموت سهلاً فرده ... إليه الحفاظ المر والحلق والوعر

الشاعر في هذه القصيدة يكون لوحة رائعة يوظف فيها كلاماً رائعاً مصوغاً بالحكمة وهو يرثي قائداً عظيماً وفارساً طالما خرج إلى الحرب ويخوض غمار الموت فيرجع منتصراً ، ذلك القائد هو محمد بن حميد الطوسي من بني نيهاة من قبيلة طي التي ينتسب إليها الشاعر في هذه القصيدة يذكر الشاعر أنه خرج لقتال بابك الخرجي ،وهو رئيس طائفة خارجة على الخلفاء التي نشرت في الأرض الفساد واستمرت فترة طويلة من الزمن في عهد المأمون إلى عهد المعتصم ، ولقد قتل الشجاع في المعركة ونزل حزناً وعيوناً باكية فأنه لم يقتل فتى أبلى بلاءً حسناً [١٤] .

وقال دريد بن الصمة في مرثية لأخيه عبد الله :-

قليل التشكي للمعنيات حافظ مع اليوم أوبار الأحاديث في غدٍ
صـــــباً ما إذا شاب رأسه وأحـــدث علماً قال للباطل أبعد

وقال من قصيدة لهُ مطلعها :- [١٥]

أرث جديد الحبل من أم معبد بقافية و أخلفت كل موعد

إنَّ الشاعر يفتتح قصيدته بالحديث عن فراق الحبيبة التي أخلف مواعيده معها فابتعدت عنه وآلمه هذا الفراق وأثار في نفسه هواجس قصيدة دريد تختلف عنه بقية قصائد الرثاء التي تأخذ نمطاً حزيناً . أو يثير الشاعر أسباب الحزن ويهيئ الجو المناسب لإظهار العواطف المتاججة مع كل ما بذل الشاعر من محاولات لأبعاد الرماح عن أخيه ودفع الموت فقد عاش عبد الله حياته لا يشكو أمراً ولا يثقل على أحد ولا يحمل الآخرين متاعب نفسه إذا كانت أيام حياة قد عرفت اللهو ، فإن مرحلة اكتماله عرفته أنساناً لا يقرب من الباطل ولا يخوض حديثه.

ومن الأبطال الذين بكاهم الشعراء منصور بن زياد ، وقد أبلى لعهد الرشيد في القضاء على ثورة في القيروان وقد وافاه القدر ، فرثاه عبد الله بن أيوب التميمي بقصيدة بديعه في تضاعيفها [١٦]

أما القبور فأنهن أوانس
بجوار قبرك والديار قبور
والناس مأتمهم عليه واحد
في كل دار رنة وزفير
عجباً لا ربع أذرع في خمسة
في جوفها جبل أشم كبير

وكذلك نرى أبا ذؤيب في مرثية تدور على تجربة وفاجعة مرة هو لم يمت له واحد فقط بل هلك أولاده الخمسة :-

أمـــــن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزعُ
قالت أميمة: مالجسمك شاحباً منذ ابتذلت ، ومثل مالك ينفع ؟
عـــلا جنـــــبك لا يلائـم إلا أضعن عليك ذاك المضجع !
فـأجبتها : فالجســـــمي أنه أودى بني عن البلاء فـودعوا
أودى بني : واعقبوني غصة بعد الفراق وعبـــرة لا تقـلع [١٧]

وكما عرفنا أن الرثاء هو ذكر مناقب الميت ومآثره ومفاخره ، ووصف الحزن عليه والجزع لفقده وبيان مكانته في قومه وآثره في مجتمعه الذي كان يعيش فيه والرثاء كثير في الشعر الجاهلي ، ومن أمثلته (عينية لبيد في رثاء أخيه أربد ورائية المهلهل في رثاء أخيه كليب ، والرثاء هو الذي هيج مشاعر ربيعة ، كذلك هناك قصائد مشهورة في غرض الرثاء مثل لامية تأبط شراً في رثاء ابن أخته وهناك صور كثيرة لفن الرثاء في الشعر الجاهلي ومما نجده في أسلوب رائع في تصوير وتناسق الألفاظ والمعاني)[١٨]،قال المهلهل يرثي أخاه كليباً :- [١٩]

أهاج خذاه عيني الادكـار هدوا فالدموع لها أغـدار
وصار الليل مستملا علينا كأن الليل ليس لـــه نهار
حيت أرأفت الجـوزاء حتى تقارب من أوالتـــها أغدار
احرق مقلتـــي في أثر قوم تبا بنت البـــلاء بهم قفار
دعوتك بالكليب فلم تجبني وكسيني يحبني البلد القفار
أين عيـــــناي بعدك تكفا كأن غفـــا القتاد لها شغار

ومن المرثيات قصيدة أوس التي رثى فيها قفالة بن كلدة وهي من أروع قصائده يصور فيها قفاله، قائلاً [٢٠]

أيتها النفس أجملي جزعاً أن الذي تحذرين قد وقعا

وهي من القصائد المشهورة التي كتبها أوس بن حجر

أما ملامح الرثاء عند الشعراء المحدثين فتمثلت في شعر البارودي واستخدامه أغراضاً كثيرة في الشعر العربي كالمديح والغزل والهجاء والرثاء والوجدانيات والشكوى والعتاب والفروسية ووصف المعارك ، لم يكن الهجاء عند البارودي هجاء شخصياً بل كان يمتزج بهجاء متنوع ، فإذا ذكر البارودي الهجاء الاجتماعي يعني لما تمر به مصر من ظروف مرتبكة أدت إلى استخدام الهجاء الاجتماعي في الشعر ، وكذلك عنده امتزاج بين المدح والرثاء وهذا وارد عند قصائد الرثاء بصورة عامة فضلاً عن الغزل الذي

تجده في شعره يأخذ نصيباً كبيراً وحيزاً واسعاً يستخدم المعاني والصفات التي كان يستخدمها القدامى ويسير على خطاهم في الأنساب التي ينسبونها إلى وصف الحبيبة وقد برز شعر الرثاء وغرض الرثاء عند البارودي بشكل رائع ومؤثر من حزن وبما فيها من تجربة إنسانية تصف مشاعره الحزينة وإحساس صادق بالألم والحزن ، وشدة لوعة وشوق، كما يقول في رثاء زوجته .[٢١]

لا لوعتي نــزع الفؤاد ولا يدي تقول على رد الحبيب النادي
يادهـــــر فيم فجعتني بجليلة كانت خلاصة عدتي وعتادي
أن كنت لا ترحم فأنني لبعدها أفلا رحمت من الأسى أولادي

أنَّ البارودي لم يستخدم غرض الرثاء وحدة بل مزج بين الأغراض التي ذكرناها أثناء الغزل والمدح والرثاء بكثرة في هذه القصيدة التي يرثي بها زوجته ضمنها عواطف جياشه اتجاهها التي تملك الفؤاد وكل ما لديه في الحياة ويلوم الدهر الذي فجعه بخسارتها التي كانت عدته وأن هذا الدهر لم يرحم أولاده الذين تيتموا بفقدان أمهم فهذا الدهر لا يعرف العزيز ولا الصديق ولا حتى العدو فهو يأخذ أغلى ما عندك وتحزن عليه حزناً شديداً [٢٢].

أما ما نجده من عدم الالتزام في غرض الرثاء بإيقاع واحد فقد ينوع الشاعر اختيار المعاني والألفاظ كما في مرثية ابن مناذر لعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي من أجمل المراثي ما يلاحظ في قصيدة ابن مناذر وحدة الإحساس وحلو الكلم وقد جعل في شعره المعنى الرائع اللطيف والألفاظ الفخمة الجليلة والقول المناسب والمنسق ومما نلاحظه في شعره نهج كلام العرب براويته وأدبه ويتميز بأسلوب متقدم ومعاصر .

قال يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي وقد كان فتى جميلاً وذا خلق وأظرف الفتيان [٢٣].

حين تمـــت آدابـــه وتردى برداء مـــــن الشـــباب جديد
وســـقاه ماء الشـــباب فاهتز إهتـــزاز لغـض الندى الاملودِ
سمعت نجوه العـيون وما كان علـــيه لـــزائد مـــن مـــزيد
وكأني أدنـــوه وهـــو قـــرين حيـــث أدعـــوه من مكان بعيد
فلئن صار لا يجـيب لقد كان سمـــعياً هنا إذا هـــو نـــودي
يافـتى كـــان للمقامات زيناً لا أراه في المحفـــل المشـــهود
لهف نفسي ما أراك وما عندك لـي إن دلوت مـــن مـــورودِ
كـان عبد المجيد سم الأعادي ملء عين الصديق رغم الحسود
عاد عبد المجيد رزءاً وقد كان رجـــاء لـريـــب وهـــو كنودِ

فتك الود لم أمت كداً بعدك أني عليك حـق جديد
لوفدي الحي ميتاً لفدت نفسك نفسي بطار في وتليدي [٢٤]

فضلاً عن أن الشاعر يعرض المعاني والألفاظ عرضاً جميلاً ومنسقاً وهذا ما تتصفُ به قصيدة الشاعر ابن مناذر في رثاء عبد المجيد الثقفي في أروع صوره .

ومما نجده أيضاً من رثاء هو رثاء ليلى الأخيلية لتوبة بن كميد العضلي تقول :- [٢٥]

دعا فايضـــاً والمرهفات ينثهُ فضجت فدعوا ولبيـــــك داعياً !
فليت عبيـد الله كـــان مكـانه صريعاً ولم أســـمع لتوبة ناعيا
اعيني ألا فابكي على أبن حمير يدمع كفيـــض الجدول المتفجر
لثيك عليه مـن خفاجة نســوة بماء شـؤون العـــبر المغـــدرِ
سفن بهيجا ازحفـــت فذكرته وقد يبعث الأخـــران طول التذكر
كأن فتى الفتيان تـوبة لم يفخ بنجد ولـــم يطـــلع مـع المعتذر
ولم يرد الماء الســـلام إذا بدأ سناً الصبح في اعقاب اخضر مدورِ
ولم يقدح الخضم الاله ويملا ألـ جفـان ســـويفاً يـــون كباء هرهر
ألاربَّ مكـروب اجيـــت وفائق أجرت ومعـــروق لـــديك ومنـــكر
فياتوب للمولى ويا توب للندى وياتـــوب للمســـبغ المنـــشرِ

يتبين لنا أن غرض الرثاء لم يكن فقط رثاء الأخوان و الأصدقاء ، وفقدان العزيز أو الأخذ بثأر من الأعداء بل تنوع تنوعاً واسعاً في قصائد الرثاء ففي قصيدة عبد الله بن سبره الحرش حين خرج في بعض غزواته وانشدنا أبو عبد الله نفطويه وأبو الحسن الاخفش ، وأبو بكر أبن دريد – والألفاظ مختلفة في هذه القصيدة لعبد الله بن سبره الحرشي وكانت قطعت يده في بعض غزواته الروم ، فقال يرثيها :- [٢٦]

ويل أم جار غداه الروع فارختي أهون علي به إذ بان فأنقطعها
يمنى يدي غدت مني مفـــارقه لم اسُـطع يوم فلطاس لها تبعا
وما خيت عليها أن أصـــاحبها لقد مرضت عل أن مستريح معا
وقائل غـاب عـــن شأن وقائلةٍ هند اجـــتنب عدو الله ادرمرعا
وكيف اركبـــه يســعى بمنقلة نحوي واعجز عنه بعد ما وقعا
ما كان ذلك يوم الروع عن خلفي ولو تقارب عني الموت ما كشفا
ويل أمة فارساً أحـلت عشيرته حامـي وقـــد ضيقوا الاحسابا

يمشـــي إلى مستميت مثله بطل　　متى اقلنا سيفها امشهما فارتجفا
كل ينـوء بما في الحذي شطب　　جلي الصبا قل وعن ذريه الطبعا
ماسيته الموت حتى اشتقا آخره　　فـما انثـتان لملاقي ولا جـزعا

لذا نجد أن الرثاء غرض واسع عند البحتري الذي وظفه توظيفاً رائعاً وأسلوباً رفيعاً ، وكذلك عند أبـي تمـام والخنسـاء وغيـرهم مـن الشـعراء فقد فـتح هذا الغـرض أبوابـاً واسـعة بحيـث شـمل رثـاء الأعـزاء والأصدقاء والأحباب والأخوان والملوك والأمراء وحتى رثاء أعضاء الجسم كما نجده في القصيدة السابقة وهناك قصائد كثيرة فلا يخفى علينا هناك رثاء يمزج مع المدح في هذا الخصوص قصائد كثيرة بما تدخره كتب الأدب فإن غرض الرثاء يشمل كل الجوانب وشمل حتى الحيوانات فهو غير محدد بل وشامل. [٢٧]

المبحث الثاني – أنواع الرثاء في الشعر الكويتي

نجد أن الغرض يُعد قليلاً إذا ما قيس بـالأغراض الأخرى كالمديح وشعر الحرب والغزل وغيرها من الأغراض الأخرى التي نظر فيها شعراءالتيار التقليدي في منطقة الكويت ، وهو سفر قائّم على تصوير أحساس صـادق بـالألم والحزن الشديد علـى فقدان الحبيب أو الصـديق والزوجـة والأبنـاء ومما تنبعث من مشاعر صادقة تعبيراً عن تجربة إنسانية حقيقية وينقسم الرثاء على نوعين رئيسيين هما :-

الأول : الرثاء للعلماء والحكام :-

وهـو الرثـاء الـذي يكـون ذا معـانٍ رفيعـة رقيقـة ويكـون رثـاءً جيـداً صـادق العاطفـة مـن الطبيعـي أن تتضمن هذه المعاني التي يستخدمها الشعراء ويعبر عن الصلة القوية بين الشاعر وبين من يرثيه . ونجد أن هؤلاء الشعراء يؤكدون على وصف الحكام والعلماء بالشجاعة والكرم وسعة العلم ودورهم في حماية الأمـة وخـدمتهم والعمل علـى استقرار الأوضـاع حيثما كـان الشـعراء يجـدون الحكـام يأخـذون العطـاء مـنهم مقابل القصائد كما كان يفعل الشعراء القدامى منهم بذلك لا يختلفون عنهم إلا القليل في القصائد التي قالها الشعراء في رثاء زوجاتهم وأبنائهم .[٢٨]

فضـلاً عن ذلك نجد أن هؤلاء الشـعراء متـأثرون ببيئـة الكويـت التـي نشـرت فيهـا المعـارف الأدبيـة والدينية وقد تترسب آثار واضحة وبارزة عند الشاعر التقليدي وأحياناً أخرى نجد الشاعر يعبر عن حزن شديد ويشكو البعد والهجر ويأخذون الجبال رمزاً لذلك الرحيل والحرمان ويصورون ما يلقون من عذاب وكذلك يستخدمون معاني أخرى فهو حين تصور أن ذاته تسقط حزينة فيكشف عما يجول في خاطره من الحسرة والضيق ،فكثرة البكاء وأن سبب هذا الحزن هو عندما تأتي الذكريات في ذهنه ويتحدث الماضي وتأتي أمام عينه صورة الحبيب الغادي فهم يبالغون عندما يتصورون تلك المعاني [٢٩]

نجد في قصائد هؤلاء الشعراء وتنوعها وكثرتها تكرار للمعاني حينما يرثون الحكام فيصفونهم بالشجاعة والكرم ويستطرد الشعراء وعندما يرثي إماماً أو يرثي شيخاً أو حاكماً ، فضلاً عن ذلك يوظف قصيدته توظيفاً صادقاً وبألفاظ جميلة وجذابة . ويجب أن يكون الشاعر على صلة بذلك الشخص الذي يرثيه وأحياناً أخرى نجد الشاعر عندما يرثي هؤلاء الموتى عن طريق معانٍ متنوعة من وظائفهم ومكانتهم وأن في هذا الجانب ، نجد قصائد قليلة تصف التجربة الشعرية فتعكس إحساساً صادقاً بفقدان الأحبة والأخوان .[٣٠]

وأن وسيلة ذلك من هذه الخصائص أنها مأخوذة من الشعر العربي القديم ، وهذا يدل على أن الشاعر يسير على خطى القدامى في استخدام المعاني وجمال التصوير ، فقد كانت أشعار الشعراء وحتى قوافيهم إنما هي وسائل تمجيد ووسيلة ذكر الشجاعة وكرم ذلك الخليفة أو رجال الدولة مقابل العطايا والجوائز، فقد كان هؤلاء الشعراء يصفون القوافي بمواجعه والأشعار الحزينة الشجية .[٣١]

فضلاً عن ذلك نجد علاقة الشاعر بالخليفة قوية تكاد تكون بينهم صداقة ، ويدافع عنه ويحاول أن يقدم كل ما يملك من أشعار اتجاه هذا الخليفة الذي يحاولون أن يأخذوا الملك منه فيكون الخليفة مخلوعاً فيرثيه الشاعر بقصائد صادقة تعبر عن أسى ويقوم الشاعر بكل وسيلة لتقريب الصورة وذات معانٍ رائعة يوظفها توظيفاً وكذلك دلالات الألفاظ والمعاني تعبر عن صدق الشاعر اتجاه هذا الصديق[٣٢] .

ونجد هذا يتجلى في قصائد الشعر الكويتي عند الشعراء التقليديين ومما نلاحظه هنالك صعوبة في الفرز بين هذه القصائد .

لقد ترك الشعراء الكويتيون حصيلة كبيرة من الشعرالذي تناول الأحداث السياسية والوظيفية ، مما يدل على تلك المشاركة المبكرة للشعراء الكوتيين في أحداث العام العربي ، وهو أمر يعود في الحقيقة إلى أنهم جزء من الوطن العربي الكبير[٣٣]

ويصور الشاعر عبد الله حسين في قصيدة عنوانها (عرب في الهزيمة والنصر) وهو يرثي الواقع العربي إذ يمزج بين النهم والعاطفة التي صاغها بالأحاسيس الهادفة وهي أحاسيس متكررة في شعره كما يقول فيها :- [٣٤]

يا لفتيان أمتي في الربا الصف ... ر بسيناء يومهـــم مأثـــورُ
يتلقَـــون طعنة الغدر بالصب ... ر وبالصبر قد يهون العسيرُ
شهداءُ هشت لهم أرضنا البك ... ر وحيـــــاهم العليّ القدير
فأنهم فـــي الجهاد نصر ولكن ... أجـــــرهم عند ربهم مقدورُ
والمغاوير فـي ربا القدس ماها ... نوا وهان اللظى وهان السعيرُ

ما تنـائي منهم أبيٌّ عن الحر ب ومـــا ردّ عزمه محذورُ
يتلقى الســلاح عارٍ من الدر ع ويأبى أن يســتكين الجسور

تعكس هذه القصيدة ميزان الشاعر الذي تناول فيه الواقع العربي من الأمراض والتخلف الاجتماعي وتناقضاته السطحية وهو يحاول أن يناقش هذا الواقع من خلال تصويره معاناة المجتمع العربي في مختلف أقطاره وهي التي أدت أن يعبر الشاعر عن هذه المعاناة رغم الهزيمة ولا بد أن يكون هناك جيل قادر على تحرير وطنه ويستطيع تحقيق النصر بواسطة الجيوش العربية وهذا الأمل الذي يصوره الشاعر في هذه المقطوعة .

ويقول خالد الفرج في قصيدته (إلى الجامعة العربية) ويصور أحساسه ومشاعره بمعانٍ وألفاظ متناسقة راثياً فيها واقع الجامعة العربية الضعيف ' إذ يقول مبيناً ذلك[٣٥] .

عقدت – اجتماعك يا جامعة فهل أنـت مبصرة ، سامعةْ
سئمنا الكلام فهل من فعالٍ فـإن الأعادي بنا طامعةْ
أسبغْ عجائـب هذا الزمان نـــزلنا إلى درك السابعةْ
كفانا ولائـــمُ فيها الدسومُ تمصّ مـن الأمة الجائعةْ
كفانا أحـاديثُ لا تنتهي كفانا وعـــودكم المائعـةْ
كفـــانا خنـوعٌ وها أنتمُ ملايين في رقعـــةٍ واسعَةْ
كثيرون في قلةٍ من خلافٍ غنيـــون في أنفسٍ قانِعَةْ
قصارى السياسي في سعيه إذا فازت بـ (النقطة الرابَعة)
فيارب رحماك أنقـذ حماك وخـذْ بيدي أمةٍ ضائعةْ

هنا يوجه الشاعر حديثه إلى الحكام ، أنتم يا أيها الحكام دائماً تعقدون اجتماعات ولكن لم تخرج بكل اجتماع الى نتيجة فهو يقول كفانا خضوعاً وكفانا حديثاً نحن نسمعُ الكلام بدون أفعال وتطبيق لهذا الكلام الذي تطرحونه في كل اجتماع ثم يتجه إلى الله بدعاء أن يحمي هذه الأمة وأن يرحمهم ويرشدهم ويرشد هذه الأمة الضائعة .

ويصور في قصيدة أخرى (الشيوعي عند المستعمرين) أراد أن يثبت وجود هذا الشيوعي بصفة من جميع الجوانب راثياً حاله وصفاته المتنوعة .[٣٦]

الشيوعيّ له وجـهٌ عريض في طويلِ
ولهُ أنفٌ عظيمٌ ولـهُ آذان فيـــل ٍ
وفم كالكهف فيه غرزت أنيابهُ غولِ

ولهُ عينان ترمي شـــرراً في قبح حُولِ
ثم جسم إنه الَّشي طانُ في شكل مُريعِ
لعنـــــة الله عليه فهو ملعونُ الجميع

نلاحظ هنا ظهور خالد الفرج وضيقه اتجاه وسائل الاستعمار المصطنعة على شعوب هذه الأمة ، وهذه القصيدة القصيرة نجد عنوانها يدل على مدى ضيق خالد الفرج وما يشعرهُ من قسوة في سياسة الشعوب القوية اتجاه الشرق الضيق (الاعاجيب)التي تقول فيها :-[٣٧]

ترى الصور في المرآة لكن هي معكوسةْ
وفي الدنيا أعاجـــيب عن الأبصار مطموسةْ
وفيها مثـــــلٌ علـــيَا كنارٍ غيـــر ملموسةْ
وفيه ((عالـــم حر)) به الأحـــرار محبوسةْ
عرفـــــنا ما النواميسُ وأشـــيا غير محسوسةْ
سوى إحياء ((أمريكا)) ((إسرائيلها)) السّوسةْ
وسْـــيل منـــه مليون على الآفاق محبوســةْ
وكم من لأجـــــي قَدْما ت والأوضـاعُ مدرسةْ
تعجَّبْ مـــن مسيحيَّ غدا الحاخـــام قسيّسةْ
وهذي أمـــــة العُربِ ارتدت أثـــواب قديَّسةْ
تدير الخدّ للغـــــرب ولو كـــان لنـــا موسةْ

وتعكس لنا هذه الأبيات ملل الشاعر ورثاءَهُ حال الوطن العربي حينما تستصرخه الشعوب العربية من سياسة حكامها وهذا الشك نلاحظه انعكس على نفسية الشاعر التي راح يتحدث عن هذه السياسة منها حقوق الإنسان والعالم الحر وكذلك تحدث عن (وعد بلفور) والدولار وكلها خدع يخدعون بها الشعوب العربية من وعود وأوهام يحاولون بواسطة هذه الوعود الكاذبة السيطرة واستعمار الشرق بواسطة هذه المظاهر السياسية ، ونلاحظ كذلك من خلال عنوان القصيدة التي جعل عنوانها (الأعاجيب) . الحس الحضاري الذي يجعل أحاسيس الشاعر خليفة الوقيان ، أحاسيس مرهفة صادقة في هذه الأبيات تعكس معاناة الشاعر في القيم الحضارية المنظورة والقيم الأخرى البدوية التي تأخذ حيزاً كبيراً في الخليج العربي وتعصب الرأي كما في قصيدة (رأي ورأيك) :- [٣٨]

لك ما ترى بين الخلائق والورى
وليَ الذي مالا تَدينُ ولا ترى

فإذا أحَبْبَ فإنّي مُعْجَبٌ
ولربما شايَعْتَ رأيك مُكبْرا
وإذا نَوَيْتَ فقد تراني مُعْرضاً
عمّا هُيْتَ من المسالكِ مُدْبِرا
لا لن أقولَ بأن رأيكَ باطلُ
لكنّي قدْ لا أراهُ نسيًّرا
لا أنت تمِلك مِقْودَي فتقودني
بالرغم منّي في دروبكَ مُجْبَرا
كلاّ ولا أرضى أقتيادك عنوةً
ما شأنُ مثلي أن يقوَدكَ مُنكسِرا
لن أهتدي مادمتَ دوني حجةً
ولو اعتلْتَ من الفصاحةِ منْبرا
لكنّني إن خلتُ رأيكِ صائباً
فلسوف اعشقُ ما تراهُ مصْدرا

حيث نجد أن الشاعر يصور أسباب قلقة ويكشفها ويحاول الآخرين أن يفرضوا رأيهم حينما يرون غيرهم ((وكأنه يشكو من تلك القيود التي يضعها الناس على آراء غيرهم فلا يرون إلا ما يعتقدون به مجتمعاتنا العربية تلك التي يذهب الناس فيها أحياناً مذاهب غريبة في فرض الرأي الواحد دون غيره من الآراء)).[٣٩]

فإن الشاعر يحاول أن ينقل معاناته اتجاه القوم الذين يحاولون أن يفرضوا ما يرون على الآخرين فهو يرثي حالة و نفسه التي تعاني من حزن عميق اتجاه هذه العصبية فهو لا يستطيع أن يعبر عن رأيه الذي هو تجسيد لفلسفة الشاعر ولرؤيته العميقة وهي فلسفة اجتماعية واقعية وأبوية لا توجد في أدبنا كما يرى عبد الرزاق البصير وعبد الله الأنصاري . وكان حرص هؤلاء الشعراء على أن يصوروا المعركة ، كذلك يصفون القائد ، آثار المعركة ، وكيف ينظر لها نظرة جانبية ويلاحظ هذا عند الشاعر، أحمد السقاف حينما يرثي واقع أمته الضعيف وكيف يخلص الأمة ابطالها من هذا الواقع المرير وكما في قصيدته ((اللقاء العظيم)) :- [٤٠]

تحية إكبـــار الى كـــل ثائر يؤجـــج باستبساله خير مقتحم
يحطم طغياناً ويـــزرع ماحقاً وينسف ما شـاد العدو وما حلم
لكـــل كمـــي مؤمن بتـــراثهِ فجاهد باسم الله والحق وأعتصم
إلى قائد لـــم يقبل العرب غيره فأصبح في وجداننا المفرد العلم
تحمل مالا يحمل الطود بَعضه ووفى العلا بالحزم والعزم والشمم
ويرشده تاريـــخ شعب تلألأتّ صحائفه نورا على النيل والهرم
فما ذل في يوم ولأخـــر راكعاً ولأهاب إلا الله ذا الفضل والنعم

هنا الشاعر يوجه تحية الى كل ثائر يندفع باستبساله في محاربة العدو فهو يجاهد باسم الله وبالحق يعتصم وهنا تتضمن قوله تعالى : ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)) ثم يوجه تحية إلى كل قائد شجاع لا يقبل الشعب غيره فأصبح في قلوبنا واحداً لا غير فلا يذل نفسه لغير الله ولا يهاب إلا الله ذا الفضل العظيم .

ونجد كذلك في القصيدة نفسها يوجه تحية لكل مناضل ولكل شهيد ضحى بنفسه راضياً عما فعل من اجل هذا الوطن فكان هذا الشهيد عظيم العطاء والكرم ويرفض الاستسلام ولا يرضى ألا برضى العظيم جل شأنه : (٤١)

تحيـة إكبـــار لكـــل مناضـــل يميـــس بـــه ردفـــان الخبث والاكم
تحية لكل شهيد جاد بالنفس راضياً فكـان عظيماً فـــي العطاء والكرم
إلـــى سمـــرات في الفيافي ومرتع من الكلأ الريـــان يزحـــم بالنعـــم
لكـــل أراك يمـــلأ العين مردُهُ ومرخٍ وأشتات من الأثـل والســـلم
إلى شـــعبنا الجبار يرفض خطة يباركـها حقـــد ويدعـو لهـا صنم
تنـادي إلى حمـــل السلاح وشأنه كذلك إمـــا أظلـــم الخطب وادلهم
وأوطاننا كالعرِضِ ليست رخيصة فلا عاش من ينمي إالينا وما انتقم
يمينا لنا النصر المرجى وفي غدٍ على تـــل أبيب سوف يرفع العلم

الثاني : رثاء الزوجات والأبناء :-

لقد نظم الشاعر التقليدي في هذا الجانب قصائد لم تقتصر على الزوجات والأبناء فقط ، وأنما تعدى ذلك إلى لقاء الحبيبة وإنما تعدى الى الزوجة ، ومما يلاحظ في ديوان الشعر الكويتي وأحياناً يبدأ الشاعر قصيدة الرثاء بالغزل وأحياناً بالمدح ، وكذلك نلاحظ هذه الظاهرة القوية التي تغلب على هذه القصائد تعد

من النماذج الشعرية سواء أخذت من الشعر الجاهلي أم الشعر الأموي والعباسي ، فضلاً عن ذلك ((نجد ندرة رثاء النساء ربما تقود هذه الظاهرة إلى قوة الرجل وضعف المرأة وكان المجتمع الجاهلي يقدر هذه القوة ولكن ما نجده من مراثي النساء صورة فقد يكون رثاء المرأة ولدها وأحياناً الأخت أخاها وهذه مادة عظيمة عند العربي)).[٤٢]

وكذلك نرى كثيراً من الشعراء عندما يرثون النساء ((يزدادون حنيناً وعاطفة اتجاه ممن يرثى وبخاصة عندما يكون من أهله وأقاربه والرحم ، وإن هذه العاطفة والرقة التي تتولد عند الشاعر نتيجة تأثيره للفراق مما تثير مشاعره ويهيجه الحزن والألم ، وهناك قصائد كثيرة في هذا الاتجاه))[٤٣] .

إن شعراء المرحلة التقليدية يمزجون في شعرهم المديح مع الرثاء في تصوير المصاب سواء كان في مديح الحبيبة أو الزوجة والأبناء وما نجده من ذلك قصيدة (في المقبرة بين الصدى والطيف) للشاعر أحمد العدواني حوار بين الصدى والطيف:-[٤٤]

الصدى :-

ياطيفُ! يفديك أمسي ما تبتغي عند رمسي
أأنت زوجي التي كان حبهاّ ملء نفسي ؟
أنت تجـــــدد أنسي بها ، وترثي لبؤسي

الطيف:

كلا ! فزوجــك التــي كانـت عليــك حانــيةْ
رفـــت إلـــي غيـرك فإنساحت عليه راضيةْ
وقد نست ما كان منك فـي الليـــــالي الخاليةْ

هنا ينادي الطيف وما ينتهي عند خبري وتسأله هل أنت زوجي أم تجده وتنسى وتحزن من أجلي هنا تناقض في الحوار فيجيب الطيف كلا وهنا تتعجب في هذا الحوار والشاعر يستخدم المعاني التي وردت في الشعر القديم .

نجد الشاعر الكويتي يصور ألمه وحزنه من شدة الفراق الذي أتعبه تنتهي حاله لليأس ومما نجد في قصيدة (نداء القلب) للشاعر أحمد السقاف يرثي فيها حالة إذ يقول : [٤٥]

أحبكّ لكني موجوعُ فهل أنت ياهاجري تسمع
صددتَ فأدميت مني الفؤاد ولم تهــدأ النفـــس والأضـــلع
ولم أر بعدك ما يسُــتطاب ولـــم أر بعــدك مـــا ينفعُ
ولا الليلُ ليلي إذا مـــا أطلّ ولا الصبح صبحي متى يسطعُ

وما الروض إلا هشيم كئيب بهــرجك فـــي ناظري مفزعُ
وأن غرّد الطيرُ فوق الغصونِ عجـــبتُ له صادحاً يسجعُ

هنا يصور الشاعر الألم والأحزان على فراق محبوبة فهو يقول لها أحبك لكن هل تسمع هذا النداء الموجع بينما الخلق ممتلئ الجفون فهو لا ليل ولا الصبح بين حالته وشوقه لها .

ومن القصائد التي نظمت في رثاء الأبناء فهذا الشاعر خالد سعود يصور ولده في هذه المقطوعة من القصيدة التي تحمل عنوان (ولدي)[٤٦].

وإن ناح في ليلة لم يعدْ
فؤادي سوياَ على المخدع
يقلبنيّ الهمّ مستلقياً
ويقلبني الكربُ عن مضجعي
أناجيه من خافقي المستضامِ
وأدنيه من قلبي الموجعَ
وأجمعُه فوق صدري بمِا
يعانيه في الغيب والمطلعِ
فألثمه مرة في الجبين
وأخرى على جيده الأتلع
وأشقى لتسعده حالتي
وأبكي لتضحكه أدمعي

يصور الشاعر ولده من كل الجوانب ويبين حبه أتجاهه فهو يصبح على بكائه وأحياناً يداعبه على صدره وأحياناً أخرى يلثمه على جبينه وهنا يستخدم الشاعر معاني بسيطة يصور بها فرحته بهذا الولد الذي رزق به وهو كل ما يملك في الحياة ويذكر في القصيدة أعضاء ولده فهو يصور وجهه وكذلك شفتيه وبذلك يبين حبه المفرط .

لذا فأن الشعر الكويتي لا يقتصر على رثاء الحكماء والعلماء والزوجات والحبيب والأبناء وإنما هناك جانب في قصائدهم تمثل في الفراق والحزن على الأصدقاء والمدن التي فارقوها .

رثاء الأصدقاء والمدن في الشعر الكويتي :-

نجد أن الشعر الكويتي يتضمن قصائد في رثاء الأصدقاء وهي حصيلة كبيرة ، لذا نجد الشعراء يصرون على ذلك بحزن عميق لرحيل ذلك الصديق ، وأحياناً نجد : ((أن الشاعر يجعل الصديق

مجهولاً ولا يكشف عن هويته وأحياناً أخرى نجد أن ذلك الصديق موجوداً وهو يوجد في الخطاب للميت كأنه حي يستمع ويصغي لما يقول لهُ وهي ظاهرة توجد في شعر الرثاء وإن سبب ذلك أن الشاعر لا يصدق أن ذلك الصديق قد مات وهو يعبر عن حزن وقرع صادق تجاه صاحب)) [٤٧].

ويتمثل ذلك في قصيدة أحمد السقاف الذي فجع برحيل صديقه الذي توفي بحادث سيارة في البصرة ، في قصيدة عنوانها (جمال) :- [٤٨]

أتبكين ؟ مـــاذا يفـيد النحيب دعيـــه ليـــدرك ســـر الغيـوب ؟
جمال ، ويرضيه عيش رتيب ؟ ودنيا تمـــوج بشّـــتى الـــذنـــوب ؟
دعيـــه يلـــب نـداء الحبيب ويمض إلى الركـــب قبل الغروب
سبيل مـــريح ، وقصد قريب وأجواء تبعث أنـــدى الطـيـــوب
وهذا ينادي : جمـــال النقيب نشيد العذارى ، ولحـن الطروب !
وذلك يسعى بعـــــزم الكفاح يريـــد المـــزيـــد ، فيتـــفـهم ؟!

يفتتح القصيدة باستفهام (أتبكين) وهو يخاطب أم الفقيد ماذا يفيد البكاء فيقول لها دعيه يلبّي نداء الخالق وهنا يحزن الشاعر على صديقه حزناً عميقاً ثم يخاطب.(أم جمال) في المقطوعة نفسها : [٤٩]

أتبكـــين . مـــاذا تفيد الدموع وهل يرجع الحزن من ودعا؟!
ومن ذا يفك ؟ فينبغي الرجوع ؟ إلـــى قيـــد أسر له أوجعا ؟!
ويكفي لعمرك بعض الخشوع إذا كنت ترعين ما استودعا!!

وهنا سؤال أتبكين وماذا تفيدك الدموع وهذا الحزن الشديد ، هل يرجع جمال ، فقد ودع الدنيا إذن يقصد هنا البكاء والنحيب لا يفيد .

فضلاً عن ذلك نجد ان الشعراء الكويتيين يكثرون من التشبيهات عندما يفقدون صديق أو رفيق عزيز ويكثرون من لغة الخطاب ، وهذه الظاهرة أسلوبية تنفرد في شعر الرثاء كما نجدة عند الشاعر أحمد العدواني في قصيدته (مدينة الأموات) :-[٥٠]

يا صاحبي
إياك أن تراع مما تشهد
فأنت في مدينة انقطعت عن الحياةْ
تدعى : مدينة الأموات
..... مدينة نام السكون فوقها

وملأْ الظلام أفقها
فلا تحسّ في ثراها حركة
هواؤها جمد
تغيرت هيئته
حتى يلائم البلد !!
وهكذا الكلام .....
يسقط مثل الزجاج !!

هنا يصور مدينة تدعى مدينة الأموات فهو يخاطب صديقه ويبدأ بنداء يا صاحب ، يصف هذه المدينة أن السكوت قد خيم عليها وسادها الظلام ولا يوجد حركة أي أنها مدينة انقطعت عنها الحياة وهو تصوير يبعث معاني شدة الهول كل شيء ميتاً لا يوجد فيه أثر الحياة وفيها فقط أسرار يغشاها الظلام .

وهناك قصائد أخرى لهؤلاء الشعراء أفتتحوها بالوقوف على الأطلال وألحوا فيها على وصف الرحيل وما يتصل به من العوطف الحزينة تلك التي تنطبق على المحبين المهجورين وتحيل حياتهم إلى حزن دائم.(٥١)

ونجد أن:((البكاء على الديار فهو ليس حديث العهد،وإنما كان في الشعر العربي وهذا موجود عند الشعراء حينما يصيرون على حزنهم،وأن المعاني التي نجدها في الشعر الحديث أنما مأخوذة من الشعر العربي القديم ، كما ذكرنا الوقوف على الأطلال ومن هنا يذكر الأحباب والأصحاب والرفاق)).(٥٢)

وقد تمثل ذلك الشاعر الكويتي محمد المشاري في قصيدة (كشمير) يصورها تصويراً رائعاً من حيث تناسق الألفاظ والمعاني :- (٥٣)

سِرّح الطرف هــذه كشميرُ هل لحسْنٍ تراه فيها نظير؟!
وتأمَّــل فللطــبيعة رقصٌ وغنــاء ونشــوةُ وحبــورً
حيثما سرتَ روضةُ وغديرً وزهــور وخضــرة وعبــيرُ
وجبــال تدثــرتْ باخضــرار وعليها من الثلوج ســطورُ
شاهقاتُ ، إذا نظرنا أعلي ها تكاد الرؤوس منها تدورُ
والبحــيرات يارعــى الله ماء شــفّ فيــها كــأنــه البلوَر
يســبحُ البط في ساهٍ ولاهٍ في انتعاش وقد عراه السرورُ
.....

صـــاحبي : هـــذه المنى فتهمل وإلـــى أي بعد هذا تسيرُ
فأطرح الفكر جانبا ساعة الصفو وعش مثلما تعيش الطيورُ
لاقيـــود ولا أنشـــغال ولا هـــمٌ ولا مطـــمع ولا تفكـــير

يصور الشاعر جمال كشمير بما فيها من حسنُ المنظر وجمال الطبيعة والجبال الشاهقات بعيداً عن التفكير والقيود والانشغال بما تعرضه كشمير من طمع اتجاه هذه المقاطعة ويحاول الشاعر أن ينقل جمال الحياة من حولها وأن يؤكد لنا أنه لن ينساها وسوف يظل قلبه يخفق بحبها ونلاحظ امتزاج مشاعر الشاعر بالطبيعة من حوله وذويه وربطه بين نفسه وظواهرها .

وخير من مثل ذلك الشاعر الكويتي (علي السبتي في قصيدة (للنيل والقاهرة)التي يصورها فيها حلم في هذه المدينة التي يقول فيها :- (٥٤)

الساعة العاشرةْ
والبيت خالٍ من ضجيج الصغارْ
وفي دَمي خيَط نارْ
أحلم بالليل وبالقاهرةْ
أحلم بالشوارع المنورةْ
بالليل يحمل الزوارق المنتثرةْ
فالموج أغنياتْ
لننس عهدا فاتْ
النيل جدنا الذي يمنحنا الحياة
النيل واهب الخيراتْ))
.....
أحلم بالهروب من قواقع الجليد
فقد سئمتَ عيشيَ البليدْ
فقدتُ معنايا
من كثر سكوايا
أودّ أن أحطمِّ الأسوارْ
وأركب الديح من الأنوار

الشاعر يحاول أن ينقل لنا حلماً عاشه وهو يصور الليل وحلمه بشوارع القاهرة وكيف النيل يحمل الزوارق بواسطة هذا النهر الذي نشر الحياة والذي بعث الخيرات فهو يتمنى أن يحطم الأسوار ، وهنا نجد في هذه القصيدة معاني سهلة وتتناسق بالألفاظ غاية في الدقة والحبكة .

الخاتمة:

تناولنا في دراستنا لغرض الرثاء في ديوان الشعر الكويتي تعريف الرثاء لغة واصطلاحاً، وكذلك الرثاء بصورة عامة من حيث هو بكاء على الميت وذكر محاسنه وصفاته الحميدة من حيث الكرم والجاه، وعرجنا على دراسة الرثاء في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعباسي ولكن بصورة مختصرة، فضلاً عن موضوع الرثاء في الشعر الكويتي والتطبيقات عليه من شعر الشعراء الكويتيين، وأنواع الرثاء منهُ رثاء الحكام والعلماء ورثاء الزوجات والأبناء ورثاء الأصدقاء والمدن ومما حدث في الشعر الكويتي من تطور ملحوظ في هذا المجال من تجديد في المعاني من استعارة المعاني القديمة في تمثيل هذا الفن الشعري. وقد توصلنا إلى نتائج عدة منها :-

١- يعد شعر الرثاء غرضاً من الأغراض الشعرية في الشعر العربي القديم والحديث ، فهو يصور الأحزان على فقدان أحد الأحباب لدى الشاعر وهو تعبير عن المشاعر الصادقة في نفسه .

٢- لقد أخذ الشاعر التقليدي في منطقة الخليج العربي يزاوج بين المعاني القديمة مع المعاني الحديثة من وقوف على الأطلال ورثاء الديار والآثار والفناء والخراب في الديار التي حل بها هذا الخراب وبين لوعته لفقدان الأهل والأحبة والرفيق .

٣- كثرة الرثاء في ديوان الشعر الكويتي وهذا ما نجده من خلال الدراسة لهذه الأشعار التي جاءت فيه من خلال قصائد الشعر الخليجي والشعر الكويتي بصورة خاصة .

٤- ومما يلاحظ في قصائد هؤلاء الشعراء أنهم يذكرون المرأة في شعرهم من خلال رثاء الزوجات والحبيبات ، ويكون رمزاً لدى الشاعر في وصف محبوبته وتصويرها تصويراً صادقاً مرهف الحس والوجدان .

٥- كثرة الرثاء في قصائد الشعراء الكويتيين التي ينشدونها في رثاء الأمراء والسلاطين والحكام والملوك وغيرهم حيث مزجوا بين عنصر المديح والرثاء من خلال توحيد هذين العنصرين الأدبيين في مقطوعة واحدة .

٦- تنوعت موضوعات الرثاء لديهم بين الشعر التقليدي وتجدد الأساليب . وهذا ما نجده في رثاء الأصدقاء ، لذا نجد الشاعر يرثي صديقه الذي فقدهُ أثر حادث أو مرض ، فهو يحزن عليه حزناً عميقاً

ولكن هذا التصوير يتداخل معهُ عنصر المديح يبدأ القصيدة بالمدح ثم يتدرج إلى الرثاء كما في قصيدة (جمال) .

٧- حرص الشاعر الكويتي أن يذكر الظواهر التي تطرأ على الشعر الكويتي وذلك حين يفتتحون قصائدهم بالغزل ، وهذا يشمل الميت رجلاً أم امرأة، وكذلك يحرص على ذكر معاني الهجر والرحيل وكأنه بذلك يريد أن يتخذ منها رمزاً فنياً على الموت .

٨- نجد أن هؤلاء الشعراء يكثرون من الحديث عن الدموع والمياه والمطر والدعوة بالسقيا وهو ما نجده يختلط اختلاطاُ شديداً بالمعاني القديمة.

٩- نلاحظ الصلة الوثيقة بين مقدمات القصائد وما يرتبط بها من عواطف صادقة وحزن عميق ، ويتم ذلك بذكر محاسن الميت .

الهوامش :

١_ جمهرة اللغة (لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد :١٠٣٥/٢.

٢- القاموس الوافي (شهاب الدين أبو عمرو):٥٤٢.

٣-المعجم الوسيط (إبراهيم مصطفى) و(أحمد الزيات) و(حامد عبد القادر) و(محمد علي النجار):٣٢٩/١.

٤- المعجم الوسيط :٣٢٩.

٥- معجم المقايس في اللغة (لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا):ج ٨/ ٤٤٢ .

٦- الصحاح المسمى ، تاج اللغة وصحاح العربية (لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : ج٢ /٣٣٥).

٧- تهذيب اللغة (لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري) :١٢٣/١٥.

٨- أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي : ١٤٠.

٩-المصدر نفسه : ١٤١.

١٠- المصدر نفسه :١٣٢.

١١- المصدر نفسه :١٤٢.

١٢- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : ٩٧/١٠.

١٣- الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي (د.حميد عبد المنعم):٢١٧.

١٤- ينظر : المصدر نفسه : ٢١٧.

١٥-التعازي والمراثي(لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد):٥.

١٦- تاريخ الأدب العربي (الدكتور شوقي ضيف):١٧.

١٧- الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه في جزئين (الدكتور محمد النهويهي):٦٥٩.

١٨- الحياة الأدبية في العصر الجاهلي (د. محمد عبد المنعم خفاجي) :٣١٥.

١٩- المصدر نفسه : ٣١٦.

٢٠- المصدر نفسه : ٣٢٣.

٢١- المصدر نفسه :٣٢٣.

٢٢- ينظر: الحركات الفكرية والأدبية في العالم العربي الحديث (الأستاذ أياد عوض والأستاذ الفارابي عبداللطيف): ١٨٠.

٢٣- ينظر : الكامل في اللغة والأدب (لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد) : ٧٥٢/١.

٢٤-المصدر نفسه :١/ ٧٥٢.

٢٥- الكامل في اللغة والأدب :ج٢/ ٧٣٨ – ٧٣٩.

٢٦- ينظر : كتاب ، الأمالي مع كتابي : (ذيل الأمالي) و(النوادر) (لأبي علي إسماعيل بن القاسم بن عبدون القالي) :٥٧-٥٨.

٢٧- المصدر نفسه : ٥٨-٥٩.

٢٨- ينظر الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور : ١٦١.

٢٩- ينظر : الشعر الكويتي الحديث (عواطف خليفة العذبي الصباح):٧٧.

٣٠- ينظر : الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطوير :١٦٢.

٣١- ينظر :الرثاء في شعر الشريف الرضي ، (محمد عبد الرضا)، رسالة ماجستير :٩٠.

٣٢- ينظر : المصدر نفسه :٩٦.

٣٣- الشعر الكويتي الحديث :١٤٣.

٣٤- ديوان الشعر الكويتي : ٢١١-٢١٢.

٣٥- ديوان الشعر الكويتي : ١٤٣.

٣٦- المصدر نفسه : ١٤٤ .

٣٧- ديوان الشعر الكويتي : ١٤٥.

٣٨- ديوان الشعر الكويتي : ١٦٤.

٣٩- الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور : ٤٢١.

٤٠- ديوان الشعر الكويتي : ٥٨.

٤١- المصدر نفسه :٥٩.

٤٢- الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور . ١٦١ .

٤٣- تاريخ الأدب العربي الجاهلي قضاياه وأغراضه وإعلامه وفنونه : ٢٥٦.

٤٤- ديوان الشعر الكويتي :١٢٧-١٢٨ .

٤٥- المصدر نفسه : ٦٩.

٤٦- المصدر نفسه : ١٢٦-١٢٧.
٤٧- الرثاء في شعر الشريف الرضي :٧٣.
٤٨- ديوان الشعر الكويتي :٦٣.
٤٩- المصدر نفسه : ٦٤.
٥٠-المصدر نفسه : ٦٥
٥١-ينظر :الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور :١٧٠.
٥٢- الرثاء في شعر الشريف الرضي : ١٣١.
٥٣- ديوان الشعر الكويتي : ٣٤٢-٣٤٣.
٥٤- المصدر نفسه :٢٧٩

المصادر البحث ومراجعة:-

_ أيام العرب وآثرها في الشعر الجاهلي،منذر الجبوري،دار الشؤون الثقافية العامة،وزارة الثقافة، د.ت.
_ الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي ، محمد عبد المنعم الخفاجي ، دار الجبل بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
_ تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ،د. شوقي ضيف ، دار المعارف ،١٣٥٤هـ - ١٩٨٠م.
_ التعازي والمراثي ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، دار صادر ، بيروت ، ط١ دمشق ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ط٢ بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
_ تاريخ الأدب العربي الجاهلي قضاياه وأغراضه - إعلامه- فنونه طليحات - عرفات الأشقر، دار الفكر بيروت- لبنان،دار الفكر- سوريا،ط١ شوال ١٤٤٢هـ، كانون الثاني (يناير) ، ٢٠٠٢م.
_ جمهرة اللغة ، أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، دار العلم للملايين ، تشرين الثاني (نوفمبر)١٩٧٨م.
_ الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطوير ، د. نورية الرومي ، جامعة الكويت ، ط١، ١٩٨٠م.
_ ديوان الشعر الكويتي،اختيار وتقييم الدكتور حسن عبد الله،الناشر للمطبوعات(٢٧) شارع فهد السالم-الكويت .
_ دراسات في الأدب ، مجيد دمعه ، عبد الجبار المطلبي ، يحيى النعات ، ١٩٥١م.
_ الرثاء في شعر الشريف الرضي ، محمد عبد الرضا جاسم جمادي الآخر ١٤١٨هـ ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، تشرين الثاني ١٩٩٧م.
_ الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه في جزأين ، د. محمد النويهي ، الناشر الدار القوطية للطباعة والنشر، القاهرة ،د.ت.
_ الشعر الكويتي الحديث ، عواطف خليفة العذبي الصباح = جامعة الكويت ، كلية الآداب والتربية ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م- المطبعة العصرية ، الكويت .

_ الصحاح المسمى تاج اللغة العربية ، لأبي نصر إسماعيل بن الجوهري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

_ العمدة في صناعة الشعر ونقده،لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، .ت.

_ القاموس الوافي ، شهاب الدين عمرو ، دار الفكر للطباعة والنشر والترجمة ، بيروت – لبنان ، ط١ ١٤٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

_ الأغاني ، لأبي فرج الأصفهاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، د.ت.

_ المعجم الوسيط في اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

_ الامالي مع كتابي (ذيل الامالي) و(النوادر) ، لأبي علي الحسن إسماعيل بن عبدون الغالي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.